نماذج من كتابات حول عمر فاخوري

(وفقًا للتسلسل الزمنيّ)

إذا عُدّ الأُدباء الخلاّقون حقًّا في المرحلة الأخيرة من عصر الإحياء والنهضة، كان الأديب اللبنانيّ، عمر فاخوري، في مقدّمتهم. أصاب ثقافة عربيّة أصيلة، وثقافة أوروبيّة ممتازة، وجمع إلى ذلك فكرًا دقيقًا، وبصرًا ثاقبًا، في فهمِ مشاكل عصره وسواء منها ما كان وطنيًّا أو عالميًّا. وابتدع أسلوبًا نقيَّ العبارة العربيّة، أنيقها، لطيف الإشارات، بارع اللفتات، لاذع السخرية في عمق ورهافة ذوق.

وهو، وإن لم يترك قصصًا أو روايات تامّة، فقد عرض له أن يرسم لبعض النماذج البشريّة، في المجتمع والحياة حوله، صورًا بلغَ في إتقانها مبلغَ كبار القصّاصين. ويبدو عليه شغفٌ خاصّ بتتّبع النماذج البشريّة التي تتّسم– على كونها نماذج عاديّة جدًّا– بسِماتٍ من الغرابة والطرافة تُضْحِك أو تُشجي، أو هي تُضْحِك وتُشجي معًا.

رئيف خوري،

"عمر فاخوري (١٨٩٦– ١٩٤٦ م / ١٣١٤ – ١٣٦٦هـ)"، في **نصوص التعريف في الأدب العربيّ، عصر الإحياء و النهضة، ١٨٥٠ – ١٩٥٠،** الطبعة الأولى، بيروت، لجنة التأليف المدرسيّ، ١٩٥٧، ص ٤١٥.

###

لم يكن كاتبُنا مَن الذين يهيمون في مسارح الرومانتيكيّة مع أنّه نشأ في عصر كان لا يزال للرومانتيكيّة مقامٌ عالٍ في نثرنا الادبيّ. أقول يهيمون وأقصد أنّه لم يُطْلِقْ لنفسه العنان في متابعة الذين يعيشون في أبراج عاجيّة، بعيدِين عن الحياة، مسترسلين في الفرار من الواقع إلى جنّات يشيدونها من أحلامهم. وإنّما كسبَ من الرومانتيكيّة انطلاقها الشخصيّ والتحرّر من قيود التصنّع ممّا جرى عليه الأقدمون. فاستعمل هذا الانطلاقَ وسهولةَ التعبير فيها لا لتمجيد الألم والهرب إلى الطبيعة من جبال وأنهار وغابات ورياض، بل ليخدمَ بها الشعب الذي يعيش في وسطه، يتألّم مع المتألّمين والمحرومين، ولديْهِ ما بناه الاستبداد ونظام الطبقات من حواجز تفصل بين الناس بحيث يتنعّم فريق ويشقى فريق. كان أدبه مستمَدًّا من السُّوق ولكن ليس سُوقيًّا بل هو أدب حيّ يعكس بأسلوبه جمال اللغة، وبمعانيه معنى الحياة.

ومن هذا الشعور أيضًا انبثق شغفه بالأدب الشعبيّ حتّى العامّيّ منه، وخصوصًا تلك الأناشيد التي عُرِفَ بها صديقه وزميله عمر الزعنيّ، وذلك لأنّ هذه الأناشيد لم تُنَظَّمْ على هامش الحياة بل لأنّها ،كما يقول، هي: "شهادات على العصر وعلى أهله، تكشف

عن عوراتها ومساوئها حتّى ليمكن القول إنّ صاحبها أعظم الهجّائين بين شعرائنا لأنّه استحدثَ نوعًا من الشعر هو الهجاء الاجتماعيّ"[1]. ويعني بالهجاء الاجتماعي ما يرسم لنا صُوَرًا صادقة عن حقيقتنا، عن أخلاقنا الاجتماعيّة، عن آلامنا وآمالنا.

أنيس المقدسيّ،

"واقعيّته" في **الفنون الأدبيّة وأعلامها في النهضة العربيّة الحديثة**، بيروت، دار الكاتب العربيّ، [١٩٦٣]، ص ٣٧٨- ٣٨٠.

###

لم يقف "لبنان" في رأي "عُمَر"، ورأي الحقيقة اللبنانيّة، لم يقف "كالصيّاد الذي دهمته العتمة ولم يُعْطِه البحرُ سمكةً واحدةً". بل إنّ "لبنان" قصّة شعب من شعوب العالم "لعلّ صغره في رقعة الأرض، وفي زحمة التاريخ، كان حافزًا ذلك الشعب، دافعًا إيّاه بعزم لا يُغلَب، إلى الأخذ بضرب من ضروب العظمة أو السموّ يكفي به طموح ذاته، ويَسدّ عَوزها".

أمّا قيمة الاستقلال اللبنانيّ فهي قيمة الذين أسهموا فيه، قيمة الذين أَحْدَثَ في أذهانهم أثرًا بليغًا حتّى صاروا يؤرّخون به شؤونهم اليوميّة. فقد كانوا في سُبله الوزنَ والفعلَ والمادّةَ الحيّة . ولا قيمة لهذا الاستقلال إلّا ببقاء الصِّلة وثيقةَ العُرى بينه وبين الشعب اللبنانيّ، لا بينه وبين أفرادٍ وفئاتٍ يأخذون من الشعب حقًّا مقدَّسًا بالدم واللحم.

وأمّا كيف يُحَقَّق الاستقلال، "فَلِعُمَر" رأيٌ بذلك مفاده أنّ الاستقلال شيء يُحَقَّق عمليًّا بواسطة ما أسماه "بالبيئة المادّيّة" التي تعني، في نهاية المطاف، العنصرَ الاقتصاديَّ الذي هو عصب هذا الجسد الذي يحيا فيه استقلال "لبنان"، هذا الاستقلال الذي لا تؤكّده حدوده الدَّوْليّة، وعلاقاته العالميّة، أكثر ممّا تؤكّده أوضاعه الداخليّة، حين يشعر الشعب اللبنانيّ أنّ الاستقلال أوّلًا وأخيرًا هو استقلاله، إذ لا ضمانة لهذا الاستقلال إلّا بشعبه، ولا ضمانة للكرامة الوطنيّة إلّا بكفاح هذا الشعب.

ولقد أراد "عُمَرُ" "لبنانَ" وطنًا لا طَيْف وطن، وطنًا من لحم ودم، وطنًا هو ملك لشعبه الكادح المكافح الذي هو لحم الأمّة ودمها، وطنًا استقلال "لبنان" فيه يعني استقلال شعبه.

ولقد وعى "عُمَرُ" بعمقٍ أنّ "الوطنيّة الصرف" لا بدّ أن يَبطل على صعيدها كلُّ حذر يقوم بين اللبنانيّين حين ينقسمون على ذاتهم طوائفَ وأديانًا. [...].

ويرى "عُمَر" أنّ الزمن الذي عاشه "لبنان" وبين طوائفه وأديانه حدودٌ كالتي تفصل بين وطن ووطن [...] لن يمحو أثرَه سوى الروح اللبنانيّ. وهو يختصر هذا الروح اللبنانيّ، الذي يؤلّف ويجمَع، بهذا القول الذي يؤلّف ويجمع، بهذا القول الذي يُعتبَرُ دستورَ بقاءِ "لبنان" بل بقاء كلّ وطن وشعب: "قد تسلّمنا مع تلك المصالح (ويعني بها السيادة القوميّة، وحقّ الإدارة والتشريع) روحًا جديدًا هو الروح اللبنانيّ الذي كان متنازِعًا فاصطلح، ومتوزّعًا فاجتمع، ومتغايرًا فائتلف. لقد تجلّى هذا الروح اللبنانيُّ الجديد في إرادة اللبنانيّين جميعًا،

[1] الباب المرصود (١٩٣٨) ص ٣٩.

على اختلاف طوائفهم وأجناسهم، أن يعيشوا معًا، أبناءَ شعب واحد حرٍّ في وطن واحد سعيد. وإنّا لنرجو أن يتجلّى هذا الروح كلّ ساعة، ولكلّ مناسبة، في جهود اللبنانيّين المتوافرة، المتضافرة، المتناصرة، لحفظ كيانهم الوطنيّ، وإنماء مرافقه، وتعزيز كرامته: إنّ هذا الروح اللبنانيّ المشترك لَفِي رأسِ مصالحنا المشتركة"[1].

جوزف حرب،

في **عُمَر فاخوري، جسر الشعب إلى الأدب**، الطبعة الأولى، بيروت، بيت الحكمة، ١٩٦٩، ص ٢٩– ٣٢.

###

ولم يكن عُمَر فاخوري الذي تلقّى دراسة مكينة في العربيّة والفرنسيّة، وعرف بعض اللغات الأجنبيّة، مثقّفًا فحسب بل كان مثقّفًا كبيرًا أفاد أدبه مِن هذه الثقافة الموضوعيّة، وجعله متفوّقًا متألّقًا، وما كانت ثقافته المتجدِّدة لتنام بين دفتَّي الكتاب، وتَقنع بالسطور والقرطاس، وإنّما كانت وسيلة لا غاية جعلَتْه يعيش في المجتمع، ويشعر أنّه من الشعب وللشعب.

وإذا كانت كلمة الثقافة التي حيَّرت المفسِّرين والمعجميّين بمعانيها لأنّها غير محدَّدة فإنّ عُمَر فاخوري، المثقَّف الكبير، قد أعطى الوجود الفكريّ الحديث مثالًا صادقًا من تفسير الثقافة الحيّة بشخصيّته وأدبه واتّصاله بحقائق الوجود وحوادثه المتعاقبة.

وكان عُمَر فاخوري من هؤلاء اللبنانيّين الذين يريدون– مقيمين ومغتربين— أن يبقى لبنان على عهده وسجاياه، سبّاقًا في دعوته للحرّيّة والكرامة القوميّة، حفيظًا على اللغة والأصالة والتاريخ، وإن تجاذبت فريقًا من جناحَيه تيّارات متضاربة، فقد آن للوطن وهو يتهيّأ للحياة الاستقلاليّة البانية، أن يستحدث سياسة جديدة تتغيّر فيها العقول والطوايا، وتتحرَّر الأفكار والنفوس من كلّ رَيْبة أو خشية في مواجهة الحقيقة اللبنانيّة التي ضمّت جناحَي لبنان على الودّ والعهد والوطنيّة الصادقة.

وما كانت وطنيّة عمر هتافًا أو مَلَقًا أو ارتجالًا، وإنّما كانت أدبًا حيًّا قويًّا، وسعيًا صادقًا إلى كلّ ما يرفع شأن بلاده اللبنانيّة، وينافح عنها خصومها في الضَّيْم والاستغلال.

وداد كسَّاب،

في **عمر فاخوري أديب الإبداع والجماهير**، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر، ١٩٧٠، ص ٢٦، ٣٠، ٣٥.

###

[...]. إنَّ عُمَر الذي كَتَبَ: "الاتّحاد السوفياتيّ حجر الزاوية"، كتبه وهو يُردّد: "لقد أنقذ العمال الحرّيّة في العالم، فليس بدعًا أن يحفظوا الحريّة في لبنان" !...

عُمَر أديب "الحرّيّة والنور".

[1] عمر فاخوري، الحقيقة اللبنانيّة.

عُمَر الحقيقة اللبنانيّة، حقيقة السواد الأعظم...

عُمَر الفنّان الذي حفظ لفنّه، قيمته الإنسانيّة.

عُمَر الأديب، المفكّر، الناقد، الساخِر، المصوّر، الإنسان الذي فهم الإنسانيّة على نحو إنسانيّ، جعلوه، أو هكذا خُيّل إليهم، أديبًا يكتب الإنشاء، مُحسِنًا انتقاء اللفظة، ولا شيء غير الإنشاء وحسن الإنتقاء!...

وإذا كانت الحقيقة تأبى علينا – نحن– إلّا أن نهتف باسمها هتافًا، فالواقع يفرض عليهم – هم – أن يُدركوا، ولو بعد فوات الأوان، أنّ عملية الفصل بين "عُمَر الإنشاء"، وعُمَر الأديب، سِياسة لم يُكتَب لها النجاح، لأنّ عُمَر فاخوري "كلّ لا يتجزّأ ولا يُصَنَّف"، ولأنّ أدب عُمَر النيّر كان في خدمة سياسته الرشيدة، وسياسته هذه، كانت دليل أدبه ذاك، وكلاهما، على كلّ حال، كانا من وحي السوق، حيث وجَدَ أديب الحرّيّة، صديق الإتحاد السوفياتيّ، عدو النازيّة، كاتب الجماهير... وفنان الواقعيّة، من يفكّ له الرصد!

مخايل عون،

"عُمَر فاخوري... يأخذ شهادة" في **أدباء في التاريخ**، بيروت، مطبعة الأمل، ١٩٧٥ ص ٥٣-٥٥.

###

عُمَر فاخوري في انطباعيّته النقديّة يتعدّى الأشخاصَ أحيانًا ونِتَاجَهم إلى المبادئ الجماليّة العامّة، كما تجده يفعل في "الفصول الأربعة". بل تراه في "الباب المرصود" ينتقل من طبيعة الغربلة الفاصلة ما بين غثّ وسمين إلى طبيعة البناء الفنّيّ المتماسك...

البطل في قصصه نموذج اجتماعيّ يصوّر بيئته... عبر الاختبار الذاتيّ. فـ"علي العلويّ" أو "حنّا الميت"، حالة نفسيّة راكدة يتعطّل فيها الزمن، كما تتعطّل الحركة وقابليّة التغيير، ولا يبقى فيها غير الانتظار...

المقالة عنده إعراضٌ عن الخيال والحلم الواهم، والتزامٌ بالواقع. حتّى إذا لجأ إلى الرمز لم يعتمده منهجًا تعبيريًّا ولا وسيلة فنّيّة... لكنّما يستلّ من الرمز صُوَرًا يستريح إليها...

تكمن براعته في إقامة الموازنات بين أدب التراث من جهة، والآداب العالميّة وخاصّة الفرنسيّة منها، من جهة أخرى. وكأنّه بذلك وضع أدبَ التراث تحت مجهر جديد مُعيدًا النظر في قيمه ومفاهيمه...

أمين ألبرت الريّحاني

في **قلمٌ يفكُّ الرَّصْدَ أو عمر فاخوري، سيرته وأدبه**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ؛ القاهرة، دار الكتاب المصريّ، ١٩٧٧، الغلاف الخارجيّ للكتاب.

###

موظَّف عاش نظيفَ اليدِ والجيب. ما مدّ يده قطّ، ولا اشتهى مقتنى غيره. عاش لا يفصل بينه وبين الناس ذاك " التَّعَنْفُصُ" الذي يتنكَّرُ به بعض الأدباء والمتأدّبين لأصحابهم متى وُظِّفوا.

كان لا طائفيًّا، ولكنّه لم يتشدَّق يومًا بذمّ الطائفيّة كأصحابنا الأشدّ تعصّبًا من الكّهان، ثمّ يتفانون غَيْرَةً على الأوطان. كان عُمَر لا يَصيح ولا يُماحك ولا يُداهن ولا يُصانع، فظلّ حيث هو لأنّه لا يحسن المداجاة والمصانعة والمداهنة، لأنّه أبيٌّ ثابت يزدري المنافقين والزنادقة الذين يكرّون مع كلّ خيل مُغيرة.

ترك ما ترك من موارد رزق تعصُّبًا لبلاده، وانتصارًا لها، ولم يشعر أحد بما صنع، ولو فعل ذلك غيره لأقام الدنيا وأقعدها.

كان فمُه نظيفًا لا يتبذّلُ حتّى في المجالس الخاصّة التي كُنّا نُعطي المرح فيها حقّه. فكان يُقابل تلك النكات الصارخة برُبع ابتسامة، ويُشارك بكلمات كان يستعدّ لتأديتها استعدادَ طالب غير واثق من ذاكرته.

ولم يكن عمر عدوًّا في ثياب صديق، ولم يكن من الذين يقتلون الرجل ويمشون في جنازته.

أمّا في الأدب فكان مؤمنًا ولكنّه غير ممارس الطقوس المنظَّمة. يُصلّي لآلهة الفنّ بما يدور على لسانه.. لم يكن أديبًا محترفًا بل كان أديبًا هاويًا.

وكانت لعُمَر فاخوري لذّة العمل الفنّيّ، وما معشوقاته غير الكلمات اللواتي يؤلّف بينهن ولا يجعلهن ضرائر.. أولعَ بالجديد ولم يكن يتنكَّرْ للقديم فكان من خير من كتبوا بلسان العرب من المُحْدَثِين.

مارون عبّود،

"عُمَر في يومه الأسود"، في **مؤلَّفات مارون عبّود الكاملة، في الدراسة،** المجلّد الثاني، **جُدد وقدماء،** الطبعة الثالثة، بيروت، دار مارون عبّود، ١٩٧٨–١٩٧٩، ص٦٥٤ – ٦٥٥.

###

[...] وما أَحْوَج أبناء لبنان اليوم إلى قراءة "الحقيقة اللبنانيّة" كما عرضها عُمَر فاخوري منذ سبع وثلاثين سنة. فهي لا زالت هي هي بما هي عليه، وما يقتضي أن تكونه[١].

لقد أراد عمر فاخوري في كتاب "الحقيقة اللبنانيّة" أن يبني تصميمًا لمدينة فاضلة... يتّخذها أنموذجًا يبني عليه لبنان الجديد الطالع من الاستقلال. ولم يُعمِّر عُمَر فاخوري بعد ذلك طويلاً[٢] ليشرف على عمليّة البناء فينصح ويوجّه.

[١] [صدر كتاب الحقيقة اللبنانيّة، في طبعته الأولى، عن دار المكشوف، مطالع عام ١٩٤٥.]

[٢] توفّي في ٢٤ نيسان ١٩٤٦، وصدر كتابه في أوّل سنة ١٩٤٥.

فاروق سعد،

"تقديم" في **الحقيقة اللبنانيّة، خواطر وأحاديث** لعمر فاخوري، الطبعة الأولى، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢.

###

أديب لبنانيّ في الطليعة، وعضو المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، وكاتبٌ نضالٍ أصيل عُنِيَ بالسَّبك والإخراج، وناقدٌ واسع الاطّلاع، عميقه، ذو ثقافة إنسانيّة واسعة. توفّر له اطّلاع واسع على الآداب العربيّة والاوروبيّة عامّة والآداب الإفرنسيّة خاصّة، وقلم متمكّن متصرّف، ووعي سليم في الوطنيّة المجاهِدة والأدب البنّاء.

لأسلوبه الخاصّ نكهة الإيماء تُغني القارئ عن اللمح الساخر ولذعة التهكّم. له صحّة اللغة، وعافية العبارة، ورشاقة السياقة، مع غنًى وافر من الملاحظة الدقيقة والتصوير البيانيّ الكاشف. كلّ هذا، إلى ذوق رهيف، وإدراك صحيح. في عينيه نظرة معقّدة وعلى فمه ابتسامة مُغَلَّفة. ثار على الجمود، وعلى الدعوى المتعالية، وسلقَ بألسنةٍ حِدَادٍ التلفيق الفاجر في الأدب [...].

احتلّ مقامًا رفيعًا في الأدب الحديث ، والنقد الأدبيّ التوجيهيّ، فكان إنتاجه الفكريّ طلعًا زكيًّا في الأدب المعاصر. تَقرأ أدبَهُ فيطالعك فيه هذا التجاوب بين أدب العرب وأدب الغرب، في تزاوجٍ وتقارُنٍ وتساوقٍ إنّ دلَّ على شيء فعلى ما اتّسم به من استبحار في الثقافتين العربيّة والغربيّة.

يوسف أسعد داغر،

"عمر فاخوري، ١٨٩٦- ١٩٤٦/٤/٢٤"، في **مصادر الدراسة الأدبيّة**، الجزء الثاني، **الفكر العربيّ الحديث في سِيَرِ أعلامه الراحلون (١٨٠٠-١٩٥٥)**، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانيّة – قسم الدراسات الأدبيّة، ٧، ١٩٨٣، ص ٦٠٦.

###

[...] ولكنّني ما نسيت تلك النسمة المنعشة التي هبّت عليّ من صفحات "الباب المرصود" يوم حمل إليّ البريد نسخة منه بعد ذلك بسنوات. فقد شعرتُ، لدى مطالعتها، أنني في حضرة كاتب له رأيه، وله أسلوبه، وله ذوقه في الأدب. فهو أبعد ما يكون عن التطفُّل والتقليد والانتحال، وأقرب ما يكون من الإبداع والتجديد والاستقلال.

حسبك من صاحب"الباب المرصود" و"الفصول الأربعة" و"أديب في السوق" أسلوبه المشرق وذوقه الرفيع. فأسلوبه أسلوب المحدِّث اللَّبِق يمتلك عليك انتباهك ومشاعرك. وأنت إذ تُفتِّش عن السرّ في ذلك لا تدري أهو في عبارته المحبوكة حَبْكَ الزّرد وهي، إلى ذلك، أنعم من الحرير أم هو في اللفتات الفجائيّة يلتفتها إلى هنا وهنالك فتظنّه قد شطَّ عن موضوعه ثمّ لا يلبث أن تراه قد عاد إليه؟ أم هو في الخفّة الرفيقة التي يقودك بها من باب إلى باب، ومن مشهد إلى مشهد، أم هو في السخرية العفويّة التي تجعل الفكرَ ينتفض والقلبَ يضاعف نبضه من غير أن تُرهقَ الفكرَ وتعصرَ القلبَ، أم هو في مجال الرسوم والتماثيل الكلاميّة يعرضها عليك عُمَرُ بتواضع الفنّان الواثق من فنّه، وبسخاء الثريّ الذي لا يخشى على ثروته النفاد.

لقد جمع عُمَر فاخوري إلى سلامة اللغة سَعَةَ الاطّلاع، واستقامة التفكير، وبراعة التعبير، وحسن الذوق. ولكن هذه كلّها ليست بذات بال ما لم يترجمها صاحبها إلى عواطف إنسانيّة تَصِلُ قَلبَهُ وفكره بقلوب الناس وأفكارهم أينما كانوا ومن أيَّما جنس أو ملَّة كانوا. وعُمَر كان غنيًّا بتلك العواطف، وهي التي دفعت به إلى اعتناق مبدإٍ اجتماعيّ بعينه، فراح يعمل له بكلّ قواه إيمانًا منه بأنّه المبدأ الأوحد الذي يكفل للإنسانيّة الخلاص من الجهل والعسف والفقر والذّل والعبوديّة، ويؤمّن لها الوصول إلى أقصى ما تترجّاه من بحبوحة العيش، وانطلاق الفكر في دنيا الخلق والإبداع، والتحرّر من الحدود والقيود.

لقد عاش عمر فاخوري أديبًا وإنسانًا، ومات أديبًا وإنسانًا.

ميخائيل نعيمة،

"عمر فاخوري أديب وإنسان"، في **المجموعة الكاملة**، المجلّد السابع، **في الغربال الجديد**، الطبعة الثانية، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٩، ص ٤٢٤–٤٢٨.

###

عمر فاخوري رجل العقيدة والثقافة والأدب، يمزج النضال بالأدب، ويتوجه إلى قرّائه توجُّهَ المقتنع برأيه، فيعالج نفوسَهم معالجة المفكّرِ الذي يلفّ موضوعه لفًّا، ويبسط جوانبه بسطًا واضحًا، ويغوص فيه إلى الأعماق، مقدّمًا البراهين والعِلَل، مناقِشًا كلَّ رأي لا يجاريه، مستشهدًا بأقوال العلماء والمفكّرين من كُلّ أُمّةٍ ومن كلّ لسان، وذلك كلّه ببصيرةٍ نفّاذّة، وذوقٍ قلَّ نظيرُه، واتّساعِ آفاق لا يدع قولًا لقائل.

وعمر فاخوري رجل الالتزام والواقع، يريد من الأدب أن يكون ابن زمانه وأن يُكتَبَ لزمانه، وأن يكون صريحًا وجريئًا يعبّرُ عن واقع الشَّعْب وحياة الأُمَّة؛ وهكذا كان أدبه...

في أُسلوبه نكهة الإيماء، ودقّة الملاحظة؛ وفيه متانة العبارة على بساطةٍ وسلاسة، ورشاقة السِّياق على رَصَانةٍ وغزارة اندفاق. وأسلوب عمر فاخوري هو أسلوب الحياة والحركة...

وهو أسلوب جليّ العبارة، يدلّ على براعة الكاتب في التلاعب بالمعاني وتبيان الفكرة.

وهو أسلوب الوضوح البعيد عن التعقيد والغرق في المُعَمَّيات، وهذه خاصّة تشهد لصاحبها على القدرة في تناول الموضوعات الذهنيّة الفلسفيّة، ذات الطابع الادبيّ، دون غرق في مدلولات الألفاظ ومضامينها الغريبة.

وهو أسلوب الابتكار الذي يأبى تقليد التيّارات المسيطِرَة في عالم البحث والكلمة، فيضيف كلّ جديد، ويفتح نوافذ مشرقة لفهم الأدب وطرق معالجته.

وهكذا فأدب الفاخوري هو أدب الشخصيّة والالتزام، والهدوء والرصانة والعمق، والروح اللاذعة الناقدة، واللمحة الباهرة.

حنّا الفاخوري،

"عمر فاخوري في أدبه" في **الموجَز في الأدب العربيّ وتاريخه**، المجلّد الرابع، **أدب النهضة الحديثة**، الطبعة الثانية، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١، ص ٤٢١–٤٢٢.

###

كان عمر فاخوري في أدبه مُقِلًّا مُجيدًا. كتبُه المنشورة، وضعًا واقتباسًا، لا تكاد صفحاتها تتجاوز الألف من القطع الوسط. وهي مجموعات مقالات وخواطر لا صلة عضويّة بينها، ولا وَحدة موضوع، ويغلب عليها طابع النقد الأدبيّ والاجتماعيّ والفكريّ والسياسيّ. يعود هذا الأمر إلى عوامل عدة أهمّها:

– ما عمّر أديبنا طويلًا. وقضى سنوات وهو يسعى إلى تناسي مآسيه بالذهول عن نفسه.

– كان من طبعه الإيجاز تأثّرًا بآلان [Alain] وبجوبير الذي قال: "ما كتبتُ صفحة لو استطعت اختصارها بسطر، ولا سطرًا لو أمكنني حصره بكلمة". وقال عُمَر في صاحب "النبيّ" وكان مُقِلًّا مثله: "فإذا بما يفيض من عبقريّة جبران يروي بِطاح المستقبل، بينما عبقريّة [أحمد] شوقي مسفوحة على هضاب الماضي".

– كان قصيرَ النفس. عمله الوحيد الذي اقتضى طُولَ النَّفَسِ رواية "علي العلويّ" وما أتمّها.

– كان صارمًا مع نفسه، يُشْبِعُ كتاباتِه تدقيقًا وتنقيحًا. وقد آثر، قبل أن يُقْدِمَ على الكتابة، أن يختزنَ من الثقافة وفرة. أمّا كتابه "كيف ينهض العرب" فمحاولة مراهق ثائر، كبير الطموح.

جميل جبر،

"عمر فاخوري والأدب" في **عمر فاخوري في سيرته وأدبه**، الطبعة الأولى، بيروت، نوفل، ٢٠٠٦، ص ٢٦.

###

لقد كانت حياة هذا الأديب المُرِيد سهلًا من مكاره، وطودًا من صبر، ما أَوْمَضَ فيهما برقٌ من أمل إلاّ أعقبه ليل من يأس. وكان، بين هذا وذاك، نفحة من طِيب، وفيض من أنس، ودوحة من وَداد.

يُغْمِضُ المرء عينيه ويعود إلى أحضان أمّه، فيتلاشى ذكره أو يترك بعده دويًّا تضجّ به الأرض ضجيجًا [...] فهل أحدّثكم عن الدويّ الذي تركه عمر فاخوري في دنياه، وإمّا فعلت فَعَن أيّ دويّ: الأدبيّ؟ أم السياسيّ؟ أم العلميّ؟ أم الدعابيّ؟ وهذه آثاره تحدّثكم عنها في مُتَّسَعٍ من أوقاتكم.

وما دام البحث عن المرحوم عُمَر الفاخوري، [...] فإنّي محدّثكم، [...]، ولو قليلًا، عن طرفٍ من جاحظيّاته أو فارسيّاته. فكلا الإمامَين "أبي عثمان"، و"صقر لبنان"[1] كانا حبيبَين إلى قلبه، فما ذكرَ واحدًا منهما إلّا قال "كان مستبدًّا باللطيفة في عصره" وهل كان عمر غير ذلك؟

لم يكن صاحبنا عنترًا في حياته، وكثيرًا ما حدّثنا عن تحاشيه الأوباش أو من هم في صفاتهم من الخلق [...] أمّا في مواقفه الأدبية فقد كان عُطَيْلِيًّا[2] جبّارًا.

صلاح اللبابيدي،

"عمر الفاخوري" في **الثُمالات**، بيروت، دار الثقافة، [د.ت.]، ص ٥٣-٥٥.

###

[1] ["الجاحظيّات" نسبة إلى عمرو بن بحر المُكَنَّى بأبي عثمان والمُلَقَّب بالجاحظ لجحوظ عينيه (٧٧٥-٨٦٨ م)، وهو أحد أكبر الأدباء العباسيّين، وصاحب روح مَرِحَة، ومعروف بِتَهَكُّمه وسخريته. "والفارسيّات" نسبة إلى أحمد فارس الشدياق (١٨٠١-١٨٨٧) أحد أكبر أعلام النهضة في القرن التاسع عشر، والمعروف أيضًا بنقده اللاذع. و"صقر لبنان" عنوان كتاب وضعه مارون عبّود وتناول فيه الشدياق الذي بات يُعرَف، بعد صدور كتاب عبّود، بـ"صقر لبنان"].

[2] ["عُطَيْليّا" نسبة إلى "عُطَيْل" بطل واحدة من أشهر مسرحيّات وليم شكسبير (١٥٦٤- ١٦٠٦) تحمل العنوان نفسه].